

دار الحسن
للنشر والتوزيع



الطبعة الأولى
١٤١٥هـ - ١٩٩٤م

دار الحسن للنشر والتوزيع
هاتف ٦٤٨٩٧٥ فاكس ٦٤٨٩٧٥ ص.ب ١٨٢٧٤٢
عمّان ١١١١٨ - الأردن

بسم الله الرحمٰن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد:

فهذا مختصر (روضة المحبين) للإمام العظيم ابن قيم الجوزية ـ رحمه الله ـ يتحدث عن الحب والمحبين بأشكاله وأنواعه: بين الله وعبده، بين الأهل والإخوة، والذكر والأنثى، وبين الإنسان والأمور المعنوية، فهو باختصار شامل لكل معاني الحب وأشكاله.

وإنك حين تقرأ الأصل الذي اختصرت عنه كتابي هذا ستفاجأ مفاجأة كبرىٰ، لصراحة ابن القيم ـ رحمه الله ـ في معالجة ما ينتج عن العلاقة بين الذكر والأنثىٰ من مشاكل.

وهذا يدل على حكمة فيه ـ رحمه الله ـ إذ إن حل المشاكل لا يكون بالسكوت عنها، بل بتفهم أسبابها وأعراضها. . . . إلخ، ثم وضع الدواء الشرعي لها، وهذا ما فعله ابن القيم ـ رحمه الله ـ.

ألم يقل الله ﴿ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة﴾ [الروم: ٢١].

فالله الخالق للرجل والمرأة هو الذي ينظم العلاقة بينهما لا غيره، ولن يكون غيره أحسن منه في تنظيم هذه العلاقة.

فقد شرع الزواج وأمر بتسهيله والإعانة عليه وجعل ذلك من أكبر الحسنات والتشفع فيه أفضل الشفاعات.

وحرم الزنى، وجعل ما يوصل إليه مثله محرماً كالنظر واللمس والقبل والاختلاط، ووصف النساء للرجال، بل والتفريق بين الأخوة في المضاجع، ولزوم النساء البيت، وخفضهن الصوت، وعدم تبرجهن حين يخرجن، وجعل التفريق بين الزوج وزوجه من أعظم المعاصي والذنوب، ومن رأى من تعجبه من النساء إما أن يتزوجها وإما أن يأتي امرأته فإن عندها مثل الذي عندها.

وأمرنا بالصبر عند عدم القدرة عليه والصوم والطاعات مع الصبر وغير ذلك من الأحكام التي فيها السعادة للجميع والتي ليس محلها هذه المقدمة.

ولا شك أن ما سيذكره المؤلف عن الحب وما يبذله الإنسان في سبيل المحب ـ وهو غير مذموم ـ فالله أحق من أن يكون له الحب.

هذا وقد اختصرت الكتاب عن طبعة دار الكتاب العربي بتحقيق الدكتور السيد الجميلي، الطبعة الثالثة ١٤١٢هـ.

وإن في الأصل من الفوائد والعبر والمباحث النفيسة التي كنت أود أن استخلصها من الكتاب وأقدمها لطلبة العلم. وقد استشرت من شجعني على ذلك. وإن كنت الآن، أؤجل ذلك، لما أظن أن قراءة طالب العلم للكتاب الأصل أكثر فائدة له.

وكتب

أبو عكاشة صالح بن عثمان بن عبد الحميد

في بلدة الخالدية (القحاطة) في غرة شهر رمضان في لعام ١٤١٥هـ قبل الإفطار

أسماء المحبة

كثرت أسماء الحب عند العرب، لأنه بقلوبهم أعلق والفهم له عندهم أشد.

١ ـ **فأما المحبة نفسها**: فقيل: أصلهاالصفاء، وقيل: مشتقة من اللزوم والثبات وقيل: مأخوذة من الحباب، وهو ما يعلو الماء عند المطر الشديد؛ فيكون الحب: غليان القلب وثورانه عند الاهتياج إلى لقاء المحبوب.

وقيل: مأخوذ من القلق والاضطراب.

أو: من الحَبِّ جمع حَبَّة. أي لباب الشيء وخالصه وأصله.

أو: الحُبّ: أي الإناء الواسع الذي يوضع فيه الشيء فيمتلىء به ولا يتسع لغيره.

وقيل غير ذلك.

وحقيقة المحبة حركة نفس المحب إلى محبوبه. فهي حركة بلا سكون، وكمال المحبة العبودية والذل والخضوع والطاعة للمحبوب.

٢ ـ **التعبد**: وهو غاية الحب وغاية الذل وهي أشرف أنواع المحبة. ولا تصلح هذه المرتبة لأحد غير الله، فلا يغفر الله ـ جل

وعز ـ لمن أشرك به في عبادته، وهي خالص حق الله على عباده.

٣ ـ **التتيم**: التعبد.

٤ ـ **الود**: خالص الحب وألطفه وأرقه.

٥ ـ **الخلة**: توحيد المحبة للمحبوب، بتخللها جميع أجزاء المحب، فلا تقبل هذه المرتبة مشاركة.

٦ ـ **الشوق**: سفر القلب إلى المحبوب، ونزاع النفس إليه، وحرقة المحبة في قلب المحب.

والشوق قسمان: الشوق الحادث عند اللقاء والمواصلة. والشوق الحادث عن المغيب عن المحب، وفي حديث عمار بن ياسر: «وأسألك الشوق إلى لقائك»[1]، قال ابن الرومي:

أعانقها والنفس بعد مشوقة إليها وهل بعد العناق تداني

وقال غيره:

وأكثر ما يكون الشوق يوماً إذا دنت الديار من الديار

٧ ـ **الاستكانة**: الخضوع والسكون والخشوع، والسكون: الحالة التي فيها إنابة وذل وخشوع، وهذا يحمد إن كان لله، مذموماً إن كان لغيره.

(٨ ـ ١٠) ـ **العلاقة، الصبوة والصبا**: وهي من الميل بمعنى الشوق أو الهوىٰ.

---

(١) رواه النسائي بسند صحيح.

١١ ـ **الهوىٰ**: وقد استعمله الشرع في الحب المذموم لإنه وإن كان معناه ميل النفس إلى شهوتها أو ما يلائمها، الذي هو مستحث لها على ما تريده من مأكل ومشرب ومنكح، إلا أن المذموم هو المفرط، وهذا هو الغالب على الناس[١] .

١٢ ـ **الصبابة**: رقة الشوق وحرارته.

١٣ ـ **العشق**: فرط الحب في عفافه أو دعارته. وأصل الكلمة: نبت لزج، أو شجرة يقال لها: عاشقة؛ تخضر ثم ترق وتصفر. وقلَّ ما استعملته العرب في الحب، لذا قيل أنه لا يستعمل في حق الله، ولعدم التوقيف، ولتضمنه معنى التغيير فيه.

وقد اتفق الأطباء[٢] على أنه مرض عقلي وسواسي، يجلبه المرء إلى نفسه بتسليط فكره على استحسان بعض الصور والشمائل، وهو ناتج عن مني محتقن، فأكثر ما يعتري العزاب. وكثرة الجماع تزيله بسرعة.

قال أرسطا طاليس: هو عمىٰ الحس عن إدراك عيوب المحبوب.

قال الجاحظ: هو اسم لما فضل عن المحبة، كما أن السرف اسم لما جاوز الجود، والبخل اسم لما جاوز الاقتصاد.

١٤ ـ **الجنون**: الحب المفرط الذي يستر العقل عن تمييز النفع والضرر.

---

(١) كما أن الغضب دافع للنفس عما يؤذيها، والمذموم هو المفرط، والغضب عند أكثر الناس كذلك.

(٢) أي قديماً.

١٥ ـ اللمم: المس، وهو طرف من الجنون، وأصله من المقاربة.

١٦ ـ الهُيام: ذهاب النفس من العشق، وهو كالجنون.

١٧ ـ التدليه: ذهاب العقل من الحب.

١٨ ـ الوله: ذهاب العقل والتحير من الوجد.

١٩ ـ الغمرات: ما يغمر القلب من حب أو سكر أو غفلة.

٢٠ ـ الخبل: الفساد والجنون.

٢١ ـ الشغف: غلاف القلب وجلده، وشغفه حُباً: بلغ شغافه.

٢٢ ـ الشعف: بالعين المهملة: حُرقة القلب ومرضه.

٢٣ ـ الوجد: الحب الذي يتبعه الحزن.

٢٤ ـ الجوىٰ: شدة الوجد من عشق أو حزن.

٢٥ ـ الشجو: حب يتبعه هم وحزن.

٢٦ ـ السدم: حب يتبعه ندم وحزن.

٢٧ ـ اللاعج: الحرقة من الحب.

٢٨ ـ الشجن: الحاجة حيث كانت، وأشدها في الحب، وهي التي تحبس الإنسان. وتعني أحياناً الحزن، وقد تجمع المعنيين.

٢٩ ـ الوصب: ألم الحب ومرضه الدائم.

٣٠ ـ اللوعة: الحرقة.

٣١ ـ الوهل: الفزع والروع عند رؤية المحبوب لأن للجمال

سلطاناً على القلوب فيأسرها.

٣٢ ـ **الكلف**: وأصله من المشقة والكلفة، وهو الولع.

٣٣ ـ **البلابل**: الوساوس والهموم.

٣٤ ـ **الرسيس**: الشيء الثابت، أو رسيس الحمىٰ، وهو أول مس الحمىٰ.

٣٥ ـ **أوار الحب**: لهيبه.

٣٦ ـ **التباريح**: الشدائد.

٣٧ ـ **الحنين**: وهو الشوق والحنان والرحمة.

٣٨ ـ **التباله**: الأسقام والأفساد.

بـانت سـعـاد فقـلبي اليـوم متبـول

٣٩ ـ **الفتون**: الاختبار والامتحان، والوله والافتتان.

٤٠ ـ **المقة**: الحب.

٤١ ـ **الخلابة**: الحب الخادع الذي وصل إلى الخلب (الحجاب) بين القلب وسواد البطن.

٤٢ ـ **الغرام**: الحب الملازم.

٤٣ ـ **الخُلم**: المصادقة والمودة.

ومن آثار الحب وعُدّ من أسمائه:

٤٤ ـ **الحزن**.

٤٥ ـ **الكمد**: وهو الحزن المكتوم.

٤٦ ـ **اللذع**: حرقة القلب.

٤٧ ـ **الحرقة**: وسببها الحب أو الغيظ.

٤٨ ـ ٤٩ ـ **السهد والأرق**: وهما بمعنى واحد.

٥٠ ـ **اللهف**: الحزن والتحسر.

٥١ ـ **الداء المخامر**: الداء المخالط للقلب والروح والمستعبد لهما.

٥٢ ـ **الدنف**: المرض، ولا معنى لها مع الحب.

٥٣ ـ **الاكتئاب**: سوء الحال والانكسار لفوت المحبوب.

وهذه الأسماء تدل على ذات واحدة باعتبار تباين صفاتها وأحوالها، ولذلك عدت هي ذاتها علامات للمحبة[1]، كما سيأتي.

* * * * *

(١) وهذا هو القسم الأول من الترادف والقسم الثاني هو أن يدل عليه باعتبار الذات كالاسم والكنية واللقب، إذا جاءت للتعريف وكالبُر والقمح والحنطة.

مقدمات لا بد منها

إن الإرادات عند العقلاء (وغيرهم) تابعة لمحبة الحي المتحرك التي هي لجلب منفعة أو لذة أو دفع مضرة أو ألم عن الحي الفاعل أو غيره.

وحركات الإفلاك تابعة للحركة الإرادية المستلزمة للمحبة، فلا يكون الفعل إلا عن محبة وإرادة، وهما أصلا البغض والكراهة أيضاً؛ وحتى شرب الدواء المر، وإن كان مكروهاً من وجه، فهو محبوب لما فيه من زوال المكروه وهو الألم، وحصول المحبوب وهو الشفاء.

وكذلك فعل الأشياء المخالفة للهوىٰ.

وإن الغايات المحمودة في أفعال الله هي الحكمة التي يحبها ويرضاها، وخلق ما يكره من أسباب ومبادىء لاستلزامه ما يحبه، أو ترتب المحبوب له عليه، فالله يحب العفو وإن كره المعاصي، وكذلك يترك ـ سبحانه ـ فعل بعض ما يحبه لما يترتب عليه من فوات محبوب له أعظم منه، أو حصول مكروه، أكره إليه من ذلك المحبوب.

كما ثبط قلوب أعدائه عن الإيمان به وطاعته، لإنه يكره طاعتهم، ويفوت به ما هو أحب إليه منها: من جهادهم، وما يترتب عليه من

الموالاة فيه والمعاداة وبذلَ أوليائه نفوسهم فيه، وإيثارهم محبته ورضاه على نفوسهم.

فيستدل بهذه الأمور عبادهُ علىٰ كمال أسمائه وصفاته ـ جل وعلا ـ.

* * * * *

دواعي ومتعلقات المحبة

يحصل داعي المحبة عند المحب إما بالنظر إلى المحب[1] أو وصفه[2] ، والاستحسان لما رأىٰ أو لما وصف له، ثم التفكر في تلك المحاسن وحديث النفس به، فإن شغل عنه بما هو أهم ذهب.

وبعض الناس لا يحب إلا من طمع بالوصول إليه، أما محبي الجمال المطلق فلا يتوقف الحب عندهم على القدرة على الوصول إلى المحبوب.

فدواعي المحبة هي ما قام بالمحبوب من الصفات التي تدعو إلى محبته، ثم ما قام بالمحب من الشعور بها، والموافقة التي بين المحب والمحبوب وهي الرابطة بينهما، وتسمى بين المخلوق ومثله مناسبة وملائمة.

فمتى قويت وكملت الثلاثة، قويت المحبة واستحكمت وضعف أحدهما يؤثر في المحبة ضعفاً بمقدار ضعف الداعي.

وقد يكون الجمال موفراً لكن الشعور به ناقص فتضعف المحبة،

---

(١) فحقيق بالمطلق أن لا يعرض نفسه للإسار الدائم بواسطة عينيه.

(٢) ومن هنا حرم النبي ـ ﷺ ـ أن تنعت المرأة المرأة للرجل.

فلو كشف له عن حقيقته لأسر قلبه، ولهذا شُرع للخاطب أن ينظر للمخطوبة؛ فإنه إن شاهدها وأعجبته كان ذلك أدعىٰ لحصول المحبة والألفة، وإلا صرف فكره عنها.

والمحب كذلك لا يرىٰ أحداً أحسن من محبوبه؛ دخلت عزة على الحجاج فقال لها: يا عزة! والله!، ما أنت كما قال فيك كُثيِّر!.

فقالت: أيها الأمير! إنه لم يرني بالعين التي رأيتني بها.

فإن كان التناسب بين الأرواح فهذا من أقوىٰ أسباب المحبة لأنها لا تكون إلا من طرفين[1] . فإن كان الحب روحاني لم يغير الجمال فيه شيئاً.

وقد يكون التناسب عارضاً بسبب المجاورة، أوالإشتراك في بعض الأمور[2] وقد تقوىٰ على الروحاني. لتجمع أسباب معها تعينها منها طول العادة والألفة وتحتمل أن تكون من طرف واحد.

نعم، عشق صفات الكمال من أنفع العشق وأعلاه، وهذه تثبت خاصة إن كانت بالمشاكلة والمناسبة.

أما التي تكون لغرض فإنها تزول عند انقضائها ـ على الأغلب ـ كما ذكرنا.

وإن كانت أمراً قائماً بالمحبوب صفة لازمة له بقي الحب، ما لم يعارضه عارض يوجب زوالها بتغير حال المحب أو أذى من المحب

---

(١) فإن التي تكون من الطرفين يكون فيها السكن والراحة. وعد ذلك من الوصال.

فيارب اشغلها بحبي كما بها شغلت فؤادي كي يخف الذي بي

(٢) لهذا حرم الإسلام التشبه بالكفار بالزي والعادات وطبعاً العبادات والمعاملات.

وقد يضعفها الأذىٰ ولا يزيلها.

خذي العفو منى تستديمي مودتي
ولا تنطقي في سورتي حين أغضب
فإني رأيت الحب في القلب والأذىٰ
إذا اجتمعا لم يلبث الحب يذهب

والكلام في الحب للمحبين، فإن بعضهم يلتذ بالأذى من المحب.

قال أبو الشيص:

وقف الهوىٰ حيث أنت فليس لي متأخر عنه ولا متقدم
وأهنتني فأهنت نفسي جاهداً يا من يهون عليك ممن يكرم
أشبهت أعدائي فصرت أحبهم إذ كان حظي منك حظي منهم

وقال عبدالله بن الدمينة:

ولو قلتِ طأ في النار أعلم أنه رضاً لك أومدن لنا من وصالك
وإن ساءني أن نلتني بمساءة فقد سرني أني خطرت ببالك

وللمحبين قصص وأعاجيب وفنون بعضها جنون. فلله في خلقه شئون، والأخير أكثر إنصافاً من الذي ادعىٰ أنه يلتذ، وكلاهما في الانحراف سواء، فإن هذا خارج عن الطباع خاصة إن كان ديدن المحبوب الأذىٰ، أما العارض فإن من الوفاء أن يغفر بعض زلات المحبوب، أو يكون هذا الأذىٰ سبباً لرضى المحبوب كما ذكر ابن الدمينة.

وعند تشاكل النفوس وتمازج الأرواح وتفاعل الأبدان معها وطلب

نظير الامتزاج والجوار الذي بين الأرواح، فإن البدن آلة الروح ومركبه، وبهذا ركب الله ـ سبحانه ـ شهوة الجماع بين الذكر والأنثى، طلباً للامتزاج والاختلاط بين البدنين، كما بين الروحين، ولهذا يسمى جماعاً وخلاطاً ونكاحاً وإفضاء.

ومن وصف له شيء ملائم فأحبه، ولما ذاقه كان له أشد محبة وأشد اشتياقاً إليه، ومحبة من ذاق الشيء الملائم، وعدم صبره عنه، أقوىٰ من محبة من لم يذقه، فالمودة التي بين الزوجين والمحبة بعد الجماع أعظم من التي قبله[1].

إذ أن شهوة القلب ولذة العين ممتزجتان، فإذا رأت العين اشتهى القلب، وإذا باشر الجسم الجسم اجتمعت شهوة القلب ولذة العين ولذة المباشرة.

فإذا فارق هذه الحال كان نزاع نفسه إليها أشد وتشوقه أعظم، ويتضاعف الألم والحسرة على من رأىٰ محبوبه أو باشره ثم حيل بينه وبينه، ويتضاعف الألم والحسرة عنده بمقدار ما تتضاعف اللذة عند من عاوده.

وهذا في جانب المرأة أقوىٰ فإنها إذا ذاقت عسيلة الرجل[2]، ولا سيما أول عسيلة، لم تكد تصبر عنه بعد ذلك، قال أيمن بن خريم:

---

(١) أي أنها أحد الأسباب القوية التي أذ قويت زادت بها المحبة، وإن اعترضها عارض أزالها كغيرها.

(٢) الجماع ولذته.

يميت العتاب خلاط النساء ويحيى اجتناب الخلاط العتابا

وقال غيره:

قولا لعاتكة التي في نظرة قضت الوطر
إني أريدك للنكا ح لا أريدك للنظر
لو كان هذا مقنعي لقنعت عنها بالقمر

وقال آخر:

لو ضم صَبٌّ إلفَهُ ألفاً لما أجدى وزادت لوعة وغرام
أرواحهم من قبل ذاك تألفت فتألفت من بعدها الأجسام

وقال ابن القيم:

سألت فقيه الحب عن علة الهوىٰ وقلت له أشكو إلى الشيخ حاليا
فقال دواء الحب أن تلصق الحشا بأحشاء من تهوىٰ إذا كنت خالياً
وتتحدا من بعد ذلك تعانقاً وتلثمه حتى يرىٰ لك ناهياً
فتقضي حاجات الفؤاد بأسرها على الأمن ما دام الحب مواتياً
إذا كان هذا في حلال فحبذا وصال به الرحمٰن تلقاه راضياً
إن كان هذا في حرام فإنه عذاب به تلقى العنا والمكاويا

* * * * *

علامات المحبة

فهي في كل محبوب بحسب مراده، إذ النفوس ثلاثة:

سماوية علوية: محبتها منصرفة إلى الكمال الممكن للإنسان، واجتناب الرذائل.

وسماوية غضبية: محبتها منصرفة إلى الرئاسة والقهر والعلو، والتكبر، وبين نفوسها والشياطين مناسبة في الأخلاق والأوصاف.

ونفس حيوانية شهوانية: محبتها منصرفة إلى المأكل والمشرب والمنكح لا تبالي بغير شهواتها.

وستجد من العلامات ما يناسب هذه الأنفس كل على حده أو مجتمعين أو اثنين منهم وهذه بعض العلامات:

* إدمان النظر إلى الشيء المحبوب: وإقبال العين عليه، ودلالتها أبلغ من اللسان التابع للقصد، والنظر دلالته أنه بغير اختيار.

* وغض المحب نظره عند نظر محبوبه إليه، مهابة له، وحياء منه لعظمته عنده.

* كثرة ذكر المحبوب بل والولع بذكره وحديثه، والافتخار بذلك وقت الشدة.

هذه علامة المحبة الصادقة ذكره المحبوب عند الرغب والرهب، وسَبْقُ ذكره إلى قلب المحب عند اليقظة والمنام.

فيكون ذكر المحبوب مستحكم بالقوة في نفس المحب لضيق القلب عن غيره ثم يصل إلى أن لا يتكلم المحب إلا عن محبوبه.

ثم لا يجد في قلبه إلا حبيبه ذاكراً.

فزرع المحبة إنما يسقى بماء الذكر، وأفضل الذكر ما صدر عن محبة.

* والانقياد لأمر المحبوب وإيثاره مراده على مراد نفسه فيتحد مرادهما، فالمحب يكون يريد من المحبوب، ثم يريد المحبوب، ثم يصبح مريداً لمراد المحبوب مع إرادته للمحبوب.

والشأن أن يحبك المحبوب لا أن تحبه فقط.

* قلة صبر المحب عن المحبوب، ويتحول إلى صبر علىٰ طاعته، والصبر عن معصيته ومخالفة أمره والصبر على أحكامه. والصبر عنه فارغ لا يليق بمحب، بل يفوت محبوبه.

* الإقبال على حديثه، وإلقاء سمعه كله إليه، فيفرغ قلبه وسمعه إليه.

* ومحبة دار المحب وبيته والموضع الذي يحل به، أو الذي ينسب إليه أو كان فيه،**وكل ما ينسب إلى المحبوب فهو محبوب**[1] ، كالجيران والأصحاب والخدم والحرف والصناعات والآنية واللباس

---

(١) قال ابن القيم: وهذا سر محبة القلوب للكعبة.

والطعام، مما يحبه المحبوب أو يعمل فيه.

* الإسراع إلى المحبوب في السير وقصر الطريق حين يزوره، وإنجلاء الغموم والهموم عند زيارته، وعذابه حين يفارقه.

* الاندهاش والروعة عند مواجهة الحبيب أو عند سماع ذكره.

* والبذل في رضا المحبوب ولو تعذر عليه، ويبذل للمحبوب تكلفاً ومشقة في أول لأمر، ثم تتحول رضاً وطوعاً ثم سؤالاً وتضرعاً.

* والسرور بما يسر المحبوب كائناً ما كان، وإن كرهته نفسه، فيكون عنده بمنزلة الدواء الكريه.

* وحب الوحدة والأنس بالخلوة والتفرد عن الناس.

* استكانة المحب لمحبوبه وخضوعه وذله له، وعده ذلك عزاً.

* امتداد النفس وتردد الأنفاس وتصاعدها مع حزن أو لهف ولذة وطرب.

* هجر المحب كل سبب يقصيه من محبوبه ويبغضه المحبوب، وارتياحه لكل سبب يدنيه منه، ويستحمد به عند محبوبه، إذا بلغه عنه، وقد تستخرج المحبة من قلوب المحبين عزماً وإرادة علىٰ ما يُعَظَّم في عين المحبوب؛ وإن كان غير مؤثر لذلك بطبعه، ولكن ذلك بحسب استعداده.

* الاتفاق الواقع بين المحب والمحبوب وخاصة عندما تكون محبة مناسبة ومشاكلة وقد تحصل بحسب تعلق الهمة به وتوجه القلب إليه واتحاد مراده بمراده وربما اقتضى ذلك اتفاقهما في المرض

والصحة والفرح والحزن والأخلاق، فإن كان بينهما تشابه في الخَلْق الظاهر فهو الغاية في الاتفاق.

* وغيرته لمحبوبه أن يكره ما يكره المحبوب، وإذا عصي أو أنتهك حقه أو ضيع أمره، أو تفريطه في حقه وارتكابه لمعصيته، فيبذل المستطاع كله في سبيل تغيير حال محبوبه.

والغيرة ثلاثة أنواع أو درجات:

غيرة المحب لمحبوبه أن تنتهك محارمه.

وغيرته أن يسكن قلبه إلىٰ غير محبوبه ويأنس إلى سواه.

وغيرته أن يتطلع غير المحب إلى حرمة محبوبه.

فتحمد الغيرة حيث يختص الحبيب بالمحبوب، فما كان مشتركاً فمذموم.

فيغار أن يشاركه أحد في محبوبه الزوج أو الأمة، ولا تكون غيرة صحيحة إلا عند قيام الريبة ووجود الشواهد، لا بالظن الفاسد المذموم، الذي يجعل الحياة شكاً.

وتذم الغيرة التي تحمل المحب على عقوبة المحبوب بأكثر مما يستحق.

ومن الغيرة المبالغ فيها ـ أحياناً ـ وقد تكون لازمة أحايين أخرىٰ غيرة المحب أن يذكر أوصاف المحبوب إلى غيره فيقع الأخير في حب محبوبه أو يحسده على محاسنه.

ويغار البعض أن يذكر أصل الحب إذا كان المحبوب لا يريد

إعلام أحد بذلك.

وأما ما يختص بالغيرة من الله للعبد فإنه جل وعلا يغار على العبد أن يكون قلبه عطلاً من حبه وخوفه ورجائه وأن يكون فيه غيرة، أو أن يغار على لسانه أن يذكر غيره.

فإذا أراد الله الخير لعبده سلط على قلبه أنواع العذاب إذا أعرض عنه واشتغل بحب غيره، حتى يرجع إليه.

وإذا اشتغلت جوارحه بغير طاعته ابتلاها.

ويغار الله على توحيده ودينه وكلامه أن يحظى به من ليس أهله فيثبط أعداءه عن طاعته.

وعلى العلم أن يحظى به من ليس أهلاً له.

* * * * *

فصـــل:

والمحبة للمحبوب من المحب توجب المحبة فيه، والبغض فيه ولكنها لا تقتضي إفراد الحبيب وعدم التشريك بينه وبين غيره، إلا المحبوب لذاته فإنه لا يقبل أي تشريك ولا يكون هذا المحبوب لذاته إلا الله.

إذ لو كان في قلب محب الله محبوب آخر لضعفت المحبة بسبب توزعها، فيكون كل شيء يحبه المحب لله ضمن محبته.

أما للمخلوقات فمن الممكن أن يكون للمحب محبوب أو أكثر باعتبار أو أكثر من اعتبار واحد فيتوجه إلى إحدهما ولا ينشغل عن

الآخر.

ويجتمع حب الله، والاهتمام بأمره، ومصالح عباده ضمن محبته سبحانه.

فمحبة الحبيب تقتضي محبة ما يحب، ومحبة ما يعين على حبه ويوصل إلى رضاه، وإن كان المحبوب لا يرضى بأن يكون في قلب محبه حبيباً آخر، إلا أن التفكر في ما يحب المحب سبب داع للقبول بما يحب المحب / المحبوب.

* * * * *

كمال الوصال دواء المحبين الحلال

يقول رسول الله ـ ﷺ ـ: «في بضع أحدكم صدقة. . . أرأيت إن وضعها في حرام».

وقال ـ ﷺ ـ: «لم ير للمتحابين مثل النكاح».

وقد اتفق رأي العقلاء من الأطباء وغيرهم أن شفاء الحب والعشق في التقاء الروحين والتصاق البدنين.

وقال ـ ﷺ ـ: «إن المرأة تقبل في صورة شيطان وتدبر في صورة شيطان، فإذا رأىٰ أحدكم امرأة فأعجبته فليأت أهله فإن ذلك يرد ما في نفسه»، وفي رواية: «فإن الذي معها مثل الذي معها».

قال الإمام أحمد: ليس العزوبة من أمر الإسلام في شيء، النبي ـ ﷺ ـ تزوج أربع عشرة مرة، ومات عن تسع، ولو ترك الناس النكاح لم يكن غزو ولا حج ولا كذا، وكذا، وقد كان النبي ـ ﷺ ـ يصبح وما عندهم شيء، وقد كان يختار النكاح ويحث عليه، وينهىٰ عن التبتل، فمن رغب عن سنة النبي ـ ﷺ ـ فهو على غير الحق.

ويعقوب ـ عليه السلام ـ في حزنه قد تزوج وولد له.

والنبي ـ ﷺ ـ قال: حبب إليّ النساء.

وبكاء الصبي بين يدي أبيه يطلب منه الخبز أفضل من كذا وكذا. انتهى.

وعلى المتزوج وطأ الزوجة بالمعروف، فيشبعها وطئاً إذا أمكنه، وذلك كما عليه أن يشبعها قوتاً ويعاشرها بالمعروف.

ففي هذا كمال اللذة، وكمال الإحسان إلى الحبيبة وحصول الأجر وثواب الصدقة وفرح النفس، وذهاب أفكارها الرديئة عنها، وخفة الروح والجسم واعتدال المزاج وطلب الصحة.

فإذا صادف ذلك وجهاً حسناً وخُلُقاً ليناً سهلاً، وعشقاً وافراً ورغبةً تامة، واحتساباً للثواب، فتلك اللذة التي لا يعادلها شيء، ولا سيما إذا وافقت كمالها حين يأخذ كل جزء من البدن بقسطه من اللذة فتلتذ العين بالنظر إلى المحبوب، والأذن لسماع كلامه، والأنف بشم رائحته والفم بتقبيله، واليد بلمسه، وتعتكف كل جارحة على ما تطلبه من لذتها؛ لذا كان استحباب النساء الجميلات أدوم لطول الزواج، وقد كان النبي ـ ﷺ ـ يحب الجمال ويحببه في نفوس أصحابه.

حتى في الزواج عندما تزوج صفية وجويرية ـ رضي الله عنهن ـ، تزوجهن وهن جميلات.

وقد استن جمع غفير من الصحابة بالنبي ـ ﷺ ـ.

إذ النفوس ترغب في الجمال، وإن كان الجمال أمر ذوقي يختلف باختلاف الاشخاص، وقد يؤثر فيه مسألة القدرة على الوصول إلى المحبوب فإن اختلاف المكان أو الزمان أو كون صاحبة الجمال ذات منصب أو مال مما يسحق الطمع فيها عند المحب.

ولعل الحب يزيد فيتصرف تصرفات المجانين، والحب فن من فنون الجنون.

الجمال جمال باطن وجمال ظاهر.

والأول محبوب لذاته إذ هو جمال العلم والعقل والجود والعفة والشجاعة، وهو يزين الصورة الظاهرة، وإن لم تكن ذات جمال، والقلوب لا تنفك عن تعظيم صاحبه ومحبته والميل إليه.

والجمال الظاهر هو الزينة، والقلوب مطبوعة على محبته، واستحسانه وكلاهما من أعظم النعم إن شكرهما بتقواه وصيانتهما واستعمالهما في طاعة الله.

ولما كان الجمال محبوباً إلى النفوس، لم يبعث الله نبياً إلا جميل الصورة حسن الوجه كريم الحسب حسن الصوت، وكان النبي ـ ﷺ ـ أجمل خلق الله وأحسنهم وجهاً.

والجمال كذلك: أمر لا يدرك بالوصف ولا تناله العبارة، وقد يحسن من تناسبت خلقته واعتدلت وإن كان غير جميلاً.

والحسن أصله في الوجه والملاحة في العينين فهو مركب من وضاءة وصباحة وحسن تشكيل وتخطيط دموية في البشرة.

وقد كان عند العرب أن البياض شطر الحسن، ويأنفون عن الهزيل والقصير ويعشقون السمان لستره العيب، وإبدائه المحاسن.

قال ابن القيم ـ رحمه الله ـ:

يستحسن في المرأة:

طول أربعة: أطرافها وقامتها وشعرها وعنقها.

وقصر أربعة: يدها ورجلها ولسانها وعينها: فلا تبذل ما في بيت زوجها ولا تخرج من بيتها، ولا تستطيل بلسانها، ولا تطمع بعينها.

وبياض أربعة: لونها وفرقها وثغرها وبياض عينيها.

وسواد أربعة: أهدابها وحاجبها وعينيها وشعرها.

وحمرة أربعة: لسانها وخدها وشفتها مع لعس[1]، وإشراب بياضها مع حمرة.

ودقة أربعة: أنفها وبنانها وخصرها وحاجبها.

وغلظ أربعة: ساقها ومعصمها وعجيزتها وفرجها.

وسعة أربعة: جبينها وجهها وعينها وصدرها.

وضيق أربعة: فمها ومنخرها، وخرق أذنها وفرجها. انتهى.

ويستحسن في المرأة دق جلدها ونعومة ملمسه.

والأذن تعشق لسماع الصوت أو عند سماع الوصف.

* * * * *

---

(١) قال في القاموس (٢ / ٢٤٩) (لعس): سواد مستحسن في الشفة.

الحور العين

وقد وصفهن الله - تعالى - بأحسن الصفات وحلاهن بأحسن الحلىٰ وشوق الخُطَّاب إليهن، حتى كأنهم يرونهن رأي العين.

فهن كواعب كل كاعب منهن استدار ثدييها ولم يتدليا لأسفل؛ علامة الشباب.

وهن حور: لحسن ألوانهن وبياضهن.

وعِين: والعيناء واسعة العين شديدة السواد وصافية البياض مع أهداب طويلة سوداء.

خيرات: جامعات للمحاسن ظاهراً وباطناً فكمل خَلْقُها وخُلُقها. فهن خيرات الأخلاق، حسان الوجوه، طاهرات من الحيض والبول والنجو وكل أذىٰ موجود في نساء الدنيا.

طاهرات من الغيرة وأذىٰ الأزواج والتجني عليهم أو إرادة غيرهم ممنوعات من التبرج أو التبذل لغير أزواجهن.

فهن لأزواجهن وأزواجهن لهن، وتقصر أمرها على زوجها محبة له وطلباً لرضاه.

وهن أبكاراً لم يمسسن قبل أزواجهن، وفي سن واحدة سن

الشباب، لم يقصر بهن الصغر ولم يزر بهن الكبر.

وهن كاللؤلؤ المكنون، أبيض ومخفي عن أعين الناس ولم تنله الأيدي.

كالياقوت في حسن صفاء بياضه، يشوبه حمرة كحمرة المرجان.

ناعمة الملمس.

لكل رجل زوجتان يرىٰ مخ سوقهما من وراء اللحم والثياب، فإن مالت النفس وتحدثت بخطبتهن، وإلا فالإيمان مدخول.

* * * * *

العشق هل يفسده الجماع؟

قالت طائفة خالفت المعقول وناقضت العقول ورفضت الفطرة واتبعت كلام الشيطان أن الجماع يفسد العشق مخالفة ما خلق الله في الذكر والأنثى من حب الجماع، وعندما يقع أحدهم في مخالفة ما شرع لنفسه يرتد على نفسه فيصبح حيواناً شهوانياً لا يعرف الخروج من ذلك.

قالوا: إن الجماع هو الغاية التي تطلب بالعشق، فما دام العاشق طالباً فعشقه ثابت، فإذا وصل إلى الغاية وقضى وطره بردت حرارة طلبه وطفئت نار عشقه.

كيف يعقل إن كان الجماع هو الغاية أن تنحرف الطباع عن الغاية، ثم هل يعقل أن يجعل الله غاية العشق الجماع ثم لا يجعله سبباً لزيادة العشق وزيادة الحب بعد كل مرة من الجماع، وهذا أمر يعرف بالتجربة.

بل أن عدم الجماع يفسد العقل ويشوش الفكر، ويجعل الحياة مظلمة نكدة.

قالت هند بنت المهلب: ما رأيت لصالحي النساء وشرارهن خيراً

من إلحاقهن بمن تسكن إليه من الرجال، ولرب مسكون إليه غير طائل، والسكن على كل حال أوفق.

وقالوا: إن سبب العشق فكري، وكلما قوي الفكر زاد العشق، وبعد الوصول لا يبقىٰ الفكر[١] ومنها: أنه قبل الظفر ممنوع والنفس مولعة بحب ما منعت منه.

وقالوا: وكانت الجاهلية الجهلاء في كفرهم لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً، وكانوا يصونون العشق عن الجماع، بل كان للعشيق نصفها الأعلى إلى سرتها، والنصف الأسفل يحرم عليه.

وهذا جاء الشرع وحرمه.

قالوا: قال الشاعر:

أكثرت من وطئها والوطء مسأمة   فارفق بنفسك إن الرفق محمود

قلنا: وهذا في كل أمر.

قال الأصمعي: قلت لأعرابية: ما تعدون العشق فيكم؟

قالت: العناق، والضمة والغمزة والمحادثة، ثم قالت: يا حضري! فكيف هو عندكم؟

قالت: يقعد بين شعبها الأربع ثم يجهدها.

قالت: يا ابن أخي، ما هذا عاشق، هذا طالب ولد.

بل إن بعضهم ـ وهذا خلاف عادة الشعراء ـ قال: إن الحب

---

(١) بل يزداد الفكر ويزداد اسوداداً بدون جماع.

الصحيح، يوجب إعظام المحبوب وإجلاله والحياء منه، فلا تطاوعه نفسه أن يلقي جلباب الحياء عند محبوبه، وأن يلقيه عنه، ففي ذلك غاية إذلاله وقهره:

إذا كان حظ المرء ممن يحبه حراماً فحظى ما يحل ويجمل
حديث كماء المزن بين فصوله عتاب به حسن الحديث يفصل
ولثم فم عذب اللثات كأنما جناهن شهد فُتَّ فيه القرنفل
وما العشق إلا عفة ونزاهة وأنس قلوب أنسهن التغزل
وإني لأستحيى الحبيب من التي تريب فأدعىٰ للجميل فأحمل

فإذا قالوا: الجماع ليس غاية، فهل الغاية الشم والتقبيل واللمس، وهل هذا العفاف، والحب الروحاني؟ فلم لا يكون الحب الروحاني مع أمه وأبيه وإخوته وأقاربه وجيرانه؟ فإن كان جوابه: أن هذا ليس معروفاً فإن لكلٍ حب مختلف.

فيقال: فإنه إذن الحب الذي منتهاه الجماع، فإن كان في الحلال فهو شرع الله. لتنظيم الحياة، بهدف السعادة. وعداه ينتهي إلى المشاكل والبغض والمعاداة خاصة عند الغيورين.

وزيادة الفكر في هذا الأمر يؤدي إلى الجنون والموت، وكثرة الجماع تؤدي إلى الإضرار أو الموت، والدين فيه أوامر لحفظ هذه الأمور السالفة.

فشرع النبي ـ ﷺ ـ الزواج للمتحابين، ولم ينكر أن الرجل قد يحب امرأة، والزواج هو الحل لأفكارهما وتهذيب لحبهما وتكبير للعلاقة بينهما.

ولا يكاد البكران يصبران عن بعضهما وحبهما يزداد إن لم يعرض له ما يفسده.

والمرء لحبيبه أكثر حباً بعد الجماع، وإن كان لا بد من فترات فإن الجماع متكرر ولا بد أن يزيد في الحب.

وقد حبب الله تعالى إلى رسله وأنبيائه ـ صلوات الله وسلامه عليهم ـ نساءهم وسراريهم[1] فكان آدم ﷺ شديد المحبة لحواء[2] وهو أول حب في الدنيا.

ونبي الله داود ـ ﷺ ـ من محبته للنساء جمع بين مائة امرأة وكان عند النبي إبراهيم ـ ﷺ ـ أجمل النساء سارة، ثم تسرَّىٰ بهاجر وكانت المحبة لها، وحب النبي ـ ﷺ ـ لخديجة ثم عائشة من بعدها.

وقد أحب من الخلفاء الراشدين والأئمة المهديين كثير.

والعشق يصفي العقل ويذهب الهم ويبعث على حسن اللباس وطيب المطعم ومكارم الأخلاق ويعلي الهمة، ويحمل على طيب الرائحة وكرم العشرة وحفظ الأدب والمروءة، وهو بلاء الصالحين، ومحنة العابدين، وهو ميزان العقول وجلاء الأذهان، وهو خلق الكرام.

وما أحببتها فحشاً ولكن رأيت الحب أخلاق الكرام

وأرواح العشاق عطرة لطيفة، وأبدانهم رقيقة ضعيفة، وأرواحهم بطيئة الانقياد لمن قادها حاشا سكنها ومن عقدت حبها عليه.

---

(١) إلا من ثبت كفرها فقد عادوهن.

(٢) وهي التي خلقها الله سكن لآدم عليهما السلام.

وكلامهم ومنادمتهم تزيد في العقول، وتحرك النفوس، وتطرب الأرواح وتلهو بأخبارهم أولو الألباب.

وأحاديثهم زينة المجالس، وروح محادثتهم.

والعشق للأرواح بمنزلة الغذاء للبدن، إن تركته ضرك، وإن أكثرت منه قتلك.

كان لبعض الملوك ولد واحد ساقط الهمة دنيء النفس فاتر فأراد أن يرشحه للملك فسلط عليه الجواري والقيان فعشق منهن واحدة فأعلم بذلك الملك فسر وأرسل إلى المعشوقة أن تجنّي عليه وقولي: لا أصلح إلا لملك أو عالم. فلما قالت له ذلك أخذ في التعلم وما عليه الملوك من أدوات الملك حتى برع في ذلك.

فالعاشق يرتاح لكريم الأخلاق والأفعال والشيم لتحمد شمائله عند معشوقه.

نعم، على رسلك أخي فإن هذه حجج من رأىٰ جواز العشق وأن له فضلاً.

قالوا: وغاية ما يقدر في أمر العشق أنه يقتل صاحبه كما هو معروف عند جماعة من العشاق.

وقد رد عليهم من لا يرىٰ الجواز، قالوا:

إن كان نهاية حال العاشق الموت وهذا في كل زمان ومكان، فإن ما أوصل إلى محرم فهو محرم.

وإن كان لا يصل إلى الموت فهو إذلال نفسه للمعشوق لتحصيل

مرضاته إذ أن مبنىٰ الحب على الذل والخضوع، وهو إلى الهلاك أقرب.

ويمنع الاستقرار ويسلب المنام ويوله العقل ويحدث الجنون.

وفيه إتلاف للمال والعرض والنفس لمعشوقه، وتضييع الأهل ومصالح الدين والدنيا وفيه تذوب الأرواح ولا يقع منه الارتياح.

وهو يترك الملك مملوكاً والسلطان عبداً.

وكم ممن هرب من الحب إلى مكان التلف ليتخلص من التلف بالتلف، ورأينا الداخل فيه يتمنىٰ منه الخلاص، ولات حين مناص، وكم أكبت فتنة العشق رؤوساً على مناخرهم في الجحيم، وأسلمتهم إلى مقاساة العذاب الأليم.

ويكفي اللبيب موعظة واستبصاراً ما قَصَّه الله عليه في سورة الأعراف في شأن أصحاب الهوىٰ المذموم تحذيراً واعتباراً.

وما قاله النبي ـ ﷺ ـ: «ما تركت على أمتي بعدي أضر على الرجال من النساء».

فهل يأمن الواحد منا على نفسه فعل الفاحشة والخنا، والشهوة مركبة في الرجل والمرأة؟ فمن قال أنه يأمن على نفسه ذلك فإنه يخالف الحقيقة والواقع.

بل إن فيما سبق من حجتهم عن حب الأنبياء ـ صلوات الله وسلامه عليهم، وهم بشر مثلنا ـ أنهم لينكحون ويتزوجون ويحبون النساء فمن منا لا يشتهي النساء؟!

فإن قال المجيزون: فهذا يوسف ـ عليه السلام ـ تمنع على امرأة العزيز، فليس كل محب طالب للزنا.

فيقال لهم: فانظروا امرأة العزيز التي عصمها الله ألم تكن طالبة؟!

قالوا: بل في العشاق كثر من هو عفيف النفس لا يعرف الخنا.

وهذه قبيلة عذرة، قال سفيان بن زياد: قلت لامرأة من عذرة ورأيت بها هوىً غالباً خفت عليها الموت منه: ما بال العشق يقتلكم معاشر عذرة من بين أحياء العرب؟

فقالت: فينا جمال وتعفف، والجمال يحملنا على العفاف، والعفاف يورثنا رقة القلوب، والعشق يُفْني آجالنا، وإننا نرىٰ عيوناً لا ترونها.

ويذكر عن العشاق أيضاً ما قال الأصمعي لأعرابي: حدثني عن ليلتك مع فلانة؟ قال: نعم، خلوت بها والقمر يرينها فلما غاب أرتنيه.

قال: فما كان بينكما؟

قال: أقرب ما أحل الله مما حرم الله، الإشارة بغير ما بأس والدنو بغير إمساس، ولعمري لئن كانت الأيام طالت بعدها، لقد كانت قصيرة معها، وحسبك بالحب:

ما أن دعاني الهوىٰ لفاحشة   إلا نهاني الحياء والكرم
فلا إلى فاحشة مددت يدي   ولا َمشت بي لريبة قدم

قال عمر بن شبة عن بعض مشايخ المدينة قال:

كان الرجل يحب الفتاة فيطوف بدارها حولاً يفرح أن يرىٰ من يراها، فإن ظفر منها بمجلس تشاكيا وتناشدا الأشعار، واليوم يشير إليها وتشير إليه، فيعدها وتعده، فإذا التقيا لم يشك حباً ولم ينشد شعراً، وقام إليها كأنه قد أشهد على نكاحها أبا هريرة ـ رضي الله عنه ـ.

وقال الأصمعي لأعرابي: ما كنت صانعاً لو ظفرت بمن تهوى؟

قال: كنت أمتع عيني من وجهها، وقلبي من حديثها، وأستر منها ما لا يحبه الله، ولا يرضى كشفه إلا عند حله.

قيل: فإن خفت أن لا تجتمعا بعد ذلك؟

قال: أكل قلبي إلى حبها، ولا أصير بقبيح ذلك الفعل إلى نقض عهدها.

فيقال لهذه الفرقة:

أوليس فيهم من يبتغي الفاحشة، وأن تستر بما المرأة به غافلة عما سواه.

وقد تكون الشهوة من المرأة فذكر عن عابد أنه هوى امرأة فبعث يخطبها، فدعته إلى الزنا. فقال: سبحان الله! أدعوك إلى ما لا إثم فيه وتدعيني إلى ما لا يصلح؟!

فلما علمت امتناعه وافقت؛ فقال: لا حاجة لنا فيمن دعوناه إلى الطاعة فدعانا إلى المعصية.

والنظر والسماع يدعوان إلى الفاحشة فكيف بالخلوة، التي وصفها النبي ـ ﷺ ـ؛ فقال: «ما اجتمع رجل وامرأة إلاَّ وكان الشيطان

ثالثهما»، فلو لم يكن للشيطان زاد الشهوة المركب في كلا الطرفين لما كان له مكان؟

بل كيف أن أضمرت الملامسة والمخالطة والقبل؟!

ومن يملك نفسه أمام جمال من يحب؟!

ومع ذلك فنقول: أن العشق لا يحمد مطلقاً ولا يذم مطلقاً فيحمد أو يذم باعتبار متعلقه، إذ الإرادة تابعة لمرادها والحب تابع للمحبوب فمتى كان المحبوب مما يحب لذاته، أو وسيلة توصله إلى ما يحب لذاته، لم تذم المبالغة في المحبة، بل تحمد، وصلاح حال المحب كذلك بحسب قوة محبته.

وأعظم محبوب هو الله، والمحبة توحيد المحبوب وتوحيد المحبة، بأن لا يتعدد المحبوبون مع الله، وإن تعدد المحبوبين فيه، وأن لا يبقى في قلبه بقية حب إلا ويبذلها لله.

ومن أمثلة العشق الممدوح المأجور عليه:

من عشق امرأته أو جاريته ففارقها بموت أو غيره، فهذا نوع ابتلاء، إن صبر نال ثواب الصابرين، وتزداد درجته إن قابلها بالرضا والتسليم وأعلىٰ من ذلك الحمد والشكر لله عند وقوعها.

* * * * *

اللـــذة

* اللذة أقسام فمنها ما هو جثماني يختص بالجسم فيشترك فيه الإنسان والحيوان كالأكل والشراب والجماع، ولا تعد كمالاً إلا إذا تضمنت إعانة على اللذة الدائمة، وتذم إن منعت وفوتت لذة خيراً منها، أو أعقبت ألماً أعظم منها.

* وقد تكون وهمية خيالية إذا كانت في الرئاسة والتعاظم على الخلق، وإن كان في نفوس أصحابها شرف. فإن ألمها أعظم من لذتها ولا تتم إلا بتحمل الألم؛ لانتصاب أصحابها لمعاداة (كل) الناس المتعاظمين.

* واللذة الروحانية العقلية في مجال المعرفة والعلم (خاصة معرفة الله ومحبته وعبادته) والاتصاف بصفات الكمال من الأخلاق الحميدة.

وكما أن الألم سببه إدراك المنافي، فاللذة سببها إدراك الملائم، فهو أمر وجداني وهو مقصود كل حي.

فكل لذة انتفع بها الإنسان من وجهين فهي اللذة الكاملة:

١ ـ التنعم بها وتكون قرة عينه فيها.

٢ ـ إيصالها إلى مرضاة الرب، وإفضائها إلى لذة أكمل منها.

ويثاب المؤمن ـ أيضاً ـ على كل ما يلتذ به من المباحات إذا قصد به الإعانة والتوصل إلى لذة الآخرة ونعيمها، في مقابلة عقوبة صاحب اللذة المحرمة.

وتتضاعف اللذة بإقبال العبد على الله بإجتماع شهوته في صورةٍ واحدةٍ جميلة رزق حبها ورزقت حبه، وانصرفت دواعي شهوته إليها، وقصرت بصره عن النظر إلى سواها، ونفسه عن التطلع إلى غيرها، مع انعدام الخوف والهم والغم الذي في اللذة المحرمة، ومع انعدام الألم في الأجل القريب يوم القيامة.

ويتألم صاحب اللذة المحرمة يوم القيامة:

بمعرفته بكمال ما فات من اللذة.

وشدة حاجتة والشوق إلى لذته مع استحالتها.

وحصول ضدها المؤلم.

فهل تعد هذه لذة حقيقية؟ بل كل ما صد عن اللذة الدائمة الحقيقة إنما يعد وبالاً على صاحبها.

والنساء والصبيان نفوسهم ضعيفة لا تنقاد إلى أسباب اللذة العظمى إلا بإعطائها شيئاً من لذة اللهو واللعب، بحيث لو فطمت عنه كلياً طلبت ما هو شر منه لها.

المقصود أن كمال اللذة تابع لكمال الحب فأعظم الناس لذة بالشيء أكثرهم محبة له.

العفــة

لم يزل الناس قديماً وحديثاً يفتخرون بالعفة، وأحق ناس بذلك المؤمنون الذين يتركون الزنا إجلالاً للجبار، أو للرغبة في الحور الحسان، والخوف من العار والشنار.

وقد يكون سبب ذلك ـ عندهم وعند غيرهم ـ الخوف من إبطال الحب بالوصل والجماع، أو عفة محبوبه ونزاهته.

أو الحياء والاحتشام من المحبوب.

أو الرغبة في الذكر الجميل عند الناس.

أو الخوف على المروءة والجاه.

أو لطبع كريم ونفس شريفة مع علو همة.

أو للذة الظفر بالعفة.

أو خوف عواقب اللذة المحرمة في الدنيا والآخرة.

فمن صرف استمتاعه في هذه الدنيا إلى ما حرم الله عليه، منعه الاستمتاع بالحور الحسان، ولو ترك ركوب الفرج الحرام لأثابه الله بركوبه أو ركوب ما هو خير منه حلالاً.

وليستذكر الإنسان قصة يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ الذي اجتمعت له دواعي الزنا من كل حدب وصوب:

كان شاباً شهوته كبيرة، وعزباً ليس له ما يعوضه، وكان غريباً عن أهله ووطنه ـ إن شاء ـ لا يوجد من يستحيى منه، وكان في صورة المملوك والعادة أن لايأنف العبد مما يأنف منه الحر.

وامرأة جميلة ذات جمال آخاذ، وصاحبة منصب آمرة ناهية وهي التي طالبت بذلك، فزالت الكلفة، وخوف الرجل من عدم استجابتها وتأكيد ذلك بالرغبة التامة والمراودة فانتفى الامتحان والاختبار وهي في محل سلطانها بحيث تعرف وقت الإمكان ومكانه، وغلقت الأبواب لتأمن الداخل، واستعملت أسلوب الرهبة والرغبة.

فكان ـ ﷺ ـ ممن قدَّم حق الله، وحق صاحب البيت.

اجتمع له ـ ﷺ ـ ناهي العقل وناهي الدين، فآثر الأعلىٰ على الأدنىٰ، اختار ما عند الله، وفضل على ذلك الفعل السجن.

فعوضه الله زواجه منها بالحلال وملك مصر.

والله جل وعلا هو الذي ثبت يوسف ـ عليه الصلاة والسلام ـ فلجأ إليه ساعتها ﴿وإلا تصرف عني كيدهن أصْبُ إليهن وأكن من الجاهلين﴾ [يوسف: ٣٣].

فلا يركن الإنسان إلى نفسه وصبره وعفته، فإنه إن ركن إلى ذلك سقط، قال الله في حق رسول الله ﷺ: ﴿ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً﴾ [الإسراء: ٧٤].

وليتأمل الإنسان فضل الله في قصة الثلاثة المخلفين في الغار قال

شاهدهم:

(اللهم إنه كانت لي ابنة عم فأحببتها كأشد ما يحب الرجال النساء، فطلبت إليها نفسها، فأبت حتى آتيها بمائة دينار، فتعبت حتى جمعت مائة دينار فجئتها بها، فلما وقعت بين رجليها قالت: يا عبدالله! اتق الله! ولا تفتح الخاتم إلا بحقه، فقمت عنها).

وقد عد النبي - ﷺ - السبعة الذين يظلهم الله في ظله يوم لا ظل إلا ظله فقال: «ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال فقال: إني أخاف الله رب العالمين».

فأثاب تارك الزنا الذكر الجميل على لسان كل مؤمن تقي وظل ظليل مع أمثاله أصحاب الطاعات العظيمة، فكان مثل يوسف عليه السلام في ترك الشهوة مع الداعي.

* هوى فتى امرأة وهويته، وشاع خبرهما، فاجتمعا يوماً خاليين، فقال لها: هلمي نحقق ما يقال فينا.

فقالت: لا والله، لا كان هذا أبداً، وأنا أقرأ ﴿الأخلاء يومئذ بعضهم لبعض عدو إلا المتقين﴾ [الزخرف: ٦٧].

* خرج رجل حاجاً فورد بعض المياه، فإذا هو بأمرأة ناشرة شعرها فأعرض عنها، فقالت: هلم إليّ، فقال: إني خاف الله رب العالمين.

فتجلببت ثم قالت: هبت والله مهاباً، إن أولىٰ من شركك في الهيبة لمن أراد أن يشركك في المعصية.

ثم ولت فتبعها، فدخلت خيمتها، ولما أصبح سأل رجلاً عن

صفتها فأخبره أنها ابنته، فقال: هل أنت مزوجي بها؟

فقال: على الأكفاء فمن أنت؟

فقلت: رجل من تيم الله.

فقال: كفو كريم.

فما برحت حتى تزوجتها ودخلت بها، ثم قلت: جهزوها إلى قدومي من الحج، فلما قدمت حملتها إلى الكوفة، وها هي ذي ولي منها بنون وبنات.

قلت لها: ويحك! ما كان تعرضك لي حينئذ.

فقالت: يا هذا ليس للنساء خير من الأزواج فلا تعجبن من امرأة تقول هويت، فوالله لو كان عند بعض السودان ما تريده من هواها لكان هو هواها.

* وكان بالمدينة شاب بار بوالده قد كفاه جميع ما يعينه أحبته امرأة فأرسلت إليه تشكو حبه، وتسأله الزيارة، وكان لها زوج فألحت عليه فأفشى ذلك إلى صديق له، فقال: لو بعثت إليها بعض أهلك فوعظتها وزجرتها، ورجوت أن تكف عنك، فأمسك، فأرسلت إليه أن تزورني وأما أن أزورك، فأبىٰ.

فلما يئست منه ذهبت إلى امرأة كانت تعمل السحر، فجعلت لها العطايا والأموال في تهييجه، فعملت لها في ذلك، فبينا هو ذات ليلة مع أبيه إذ خطر ذكرها بقلبه، وهاج منه أمر لم يكن يعرفه واختلط فقام مسرعاً فصلىٰ واستعاذ بالله، والأمر يشتد فقال: يا أبه! أدركني بقيد.

فقال: يا بني! ما قصتك؟ فحدثه بالقصة.

فقام وقيده، وأدخله بيتاً، فجعل يضطرب ويخور كما يخور الثور ثم هدأ فإذا هو ميت والدم يسيل من منخره.

* وكانت هناك متعبدة زاهدة ذات جمال، أحبها رجل موسر، تخطب فتأبىٰ فبلغ الموسر أنها تريد الحج فاشترىٰ ثلاثمائة بعير ونادىٰ: من أراد الحج فليكتر من فلان، فاكترت منه المرأة، فلما كان في بعض الطريق جاءها فقال: إما أن تزوجيني نفسك وإما غير ذلك.

فقالت: ويحك! اتق الله.

فقال: ما هو إلا ما تسمعين، والله ما أنا بجمّال، ولا خرجت إلا من أجلك فلما خافت على نفسها قالت: ويحك انظر أبقي في الرجال عين لم تنم؟

فقال: لا، ناموا كلهم.

قالت: أفنامت عين رب العالمين؟

ثم شهقت شهقة وخرت ميته، وخر الرجل مغشياً عليه.

فلما أفاق قال: ويحي! قتلت نفساً ولم أبلغ شهوتي.

* * * * *

سكرة العشق

إن مباديء وأسباب العشق اختيارية داخلة تحت التكليف كالنظر والتفكر والتعرض للمحبة.

وإذا أتى بالأسباب كان ترتب المسبب عليها بغير اختياره.

تـولـع بـالعشـق حتـى عشـق فلمـا استقـل بـه لـم يطـق
رأىٰ لجـة ظنهـا مـوجـة فلمـا تمكـن منهـا غـرق
تمنـى الإقـالـة مـن ذنبـه فلـم يستطعهـا ولـم يطـق

ولا يكون حينئذ معذوراً فيما تولد عنه بغير اختياره، وهذا بمنزلة السكر من شرب الخمر الذي هو اختياري، والذي يتولد عنه اضطراري.

ولذا نقول إذا حصل العشق بسبب غير محظور لا يلام صاحبه، كمن كان يعشق امرأته أو جاريته ثم فارقها وبقي عشقها غير مفارق له.

وكذلك إذا نظر فجأة ثم صرف بصره وقد تمكن العشق من قلبه بغير اختياره على أن عليه مدافعته وصرفه عن قلبه بضده.

فإذا كان أدنىٰ السكرين لا يعذر صاحبه إذا تعاطى أسبابه فكيف يعذر صاحب السكر الأعلى مع تعاطي أسبابه؟

والسكر هو لذة أو ألم يغيب معها العقل الذي يعلم به القول ويحصل معه التمييز، فهو يجمع بين معنيين: وجود لذة أو فرح شديد أو ألم.

والثاني: عدم تمييز.

فقد يحصل السكر بسبب فرح شديد أو قوة غضب أو أطعمة أو أشربة أو حب الرئاسة والمال.

وكذا حب الصور إذا استحكم ولا سيما الذي يتصل بالجماع فإن صاحبها ينقص تمييزه أو يعدمه.

وسماع الأصوات المطربة التي تحرك النفس نحو محبوبها لما فيها من ذكر أوصاف المحبوب فتولد الشوق مع الحركة، والطلب مع التخيل للمحبوب.

وكلها يراد بها تغييب العقل والهموم والأحزان، وهي لا تزول وإنما تتوارىٰ فإذا صحا عادت أعظم ما كانت وأوفره، فيدعوه عَوْدُها إلى العود.

وكأس شربت على لذة وأخرىٰ تداويت منها بها

وقد حرم الله السكر لشيئين ﴿إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون﴾ [المائدة: ٩١].

فالعلم بما في تلك اللذات من المفاسد العاجلة والآجلة يمنعها من تناولها، والعقل يأمرها بأن لا تفعل.

وما يترتب على ذلك المضرة المتولدة عن السكر أعظم من المنفعة المرجوة للبدن بكثير.

فاللذة الحاصلة بذكر الله والصلاة، آجلاً وعاجلاً أعظم وأبقى وأدفع للهموم والغموم والأحزان؟

بل كيف يكون حال سكران الخمر والهوىٰ والصور والأغاني التي فيها وصف المحبوب ولذة الجماع؟

فحينها تستولي اللذة على النفس والروح والبدن أتم الاستيلاء.

فكيف يدعي العذر من تعاطي هذه الأسباب؟

* * * * *

مناظرة بين العين والقلب

قال القلب للعين: أنت سقتني إلى موارد الهلكات، وأوقعتني في الحسرات؛ بمتابعتك اللحظات، ونزهت طرفك؛ في تلك الرياض، وطلبت الشفاء من الحدق المراض وخالفت قول أحكم الحاكمين ﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم. ذلك أزكىٰ لهم. إن الله خبير بما يصنعون﴾ [النور: ٣٠].

أو ما علمت أنه ليس شيء أضر علىٰ الإنسان من العين واللسان؟ فما عطب أكثر من عطب إلا بهما، وما هلك أكثر من هلك إلا بسببهما، فلله كم من مورد هلكة أوراده! ومصدر ردىٰ عنه إصدراه! فمن أحب أن يحيىٰ سعيداً، أو يعيش حميداً فليغض من عنان طرفه ولسانه؛ ليسلم من الضرر فإنه كامن في فضول الكلام وفضول النظر.

وقد صرح الصادق المصدوق ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ بأن العينين تزنيان، وهما أصل زنا الفرج، فإنهما له رائدان، وإليه داعيان، وقد سئل رسول الله ـ ﷺ ـ عن نظر الفجأة، فأمر السائل أن يصرف بصره، فأرشده إلى ما ينفعه ويدفع عنه ضرره، وقال لابن عمه علي ـ رضي الله عنه ـ محذراً له مما يوقع في الفتنة ويورث الحسرة: لا تتبع النظرة النظرة.

أوما سمعت قول العقلاء: من سرح ناظره أتعب خاطره، ومن كثرت لحظاته ودامت حسراته، وضاعت عليه أوقاته، وفاضت عبراته.

نظر العيون إلى العيون هو الذي جعل الهلاك إلى الفؤاد سبيلاً
ما زالت اللحظات تغزو قلبه حتىٰ تشحط بينهن قتيلاً

قالت العين: ظلمتني أولاً وآخراً، وبؤت بإثمي باطناً وظاهراً، وما أنا إلا رسولك الداعي إليك، ورائدك الدال عليك، فأنت الملك المطاع، ونحن الجنود والأتباع أركبتني في حاجتك خيل البريد، ثم أقبلت علي بالتهديد والوعيد، فلو أمرتني أن أُغلق علي بابي وأرخي علي حجابي، لسمعت وأطعت، ولما رعيت في الحمىٰ ورتعت.

وأرسلتني لصيد قد نصبت لك حبائله وشراكه، واستدارت حولك فخاخه وشباكه فغدوت أسيراً، بعد أن كنت أميراً، وأصبحت مملوكاً بعد أن كنت مليكاً.

هذا وقد حكم لي عليك سيد الأنام وأعدل الحكام ـ عليه وعلى آله أفضل الصلاة والسلام ـ حيث يقول: إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد سائر الجسد ألا وهي القلب.

ولو أنعمت النظر وأمعنت الفكر لعلمت أن فساد رعيتك بفسادك، ولكنك حملت علىٰ العين الضعيفة خطيئتك، وأصل بليتك أنه خلا منك حب الله، وحب ذكره، وكلامه واسمائه، وصفاته، وأقبلت علىٰ غيره وأعرضت عنه، وتعوضت بحب من سواه الرغبة فيه منه.

وهذا وقد سمعت ما قص عليك من إنكاره ـ سبحانه ـ على بني

إسرائيل، واستبدالهم طعاماً بطعام أدنى منه، فذمهم علىٰ ذلك ونعاه عليهم، قال الله: ﴿أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير﴾ [البقرة: ٦١]، فكيف بمن استبدل بمحبة خالقه وفاطره ووليه ومالك أمره، الذي لا صلاح له ولا فلاح، ولا نعيم ولا سرور، ولا فرحة ولا نجاة إلا بأن يوحده في حبه، ويكون أحب إليه مما سواه، فانظر بالله من استبدلت؟ وبمحبة من تعوضت؟

رضيت لنفسك بالحبس في البستان، وقلوب محبيه تجول حول العرش فلو أقبلت عليه وأعرضت عمن سواه لرأيت العجائب ولأمنت من المتالف والمعاطب أو ما علمت أنه خص بالفوز والنعيم، من أتاه بقلب سليم مما سواه، ليس فيه غير حبه واتباع رضاه.

وبين ذنبي وذنبك عند الناس كما بين عماي وعماك في القياس، وقد قال من بيده أزمة الأمور: ﴿فإنها لا تعمىٰ الأبصار ولكن تعمىٰ القلوب التي في الصدور﴾ [الحج: ٤٦].

فلما سمعت الكبد تحاورهما الكلام وتناولهما الخصام قالت: أنتما على هلاكي تساعدتما، وعلى قتلي تعاونتما، ولقد أنصف من حكىٰ مناظرتكما، على لساني متظلماً منكما:

يقول طرفي لقلبي هجت لي سقماً والعين تزعم أن القلب أنكاها
والجسم يشهد أن العين كاذبة وهي التي هيجت للقلب بلواها
لولا العيون وما يجنين من سقم ما كنت مطرحاً من بعض قتلاها
فقالت الكبد المظلومة اتئدا قطعتماني وما راقبتما الله

ثم قالت: أنا أتولىٰ الحكم بينكما، أنتما في البلية

عِنان[1] ، كما أنكما في اللذة والمسرة فرسا رهان، فالعين تلتذ، والقلب يتمنى ويشتهي، وإن لم تدرككما عناية مقلب القلوب والأبصار، وإلا فمالك من قرة ولا للقلب من قرار.

فوالله ما أدري أنفسي ألومها
على الحب أم عيني المشوقة أم قلبي
فإن لمت قلبي قال لي العين أبصَرت
وإن لمت عيني قالت الذنب للقلب
فعيني وقلبي تقاسمتما دمي
فيا رب كن عوناً علىٰ العين والقلب

قالت: ولما سقيت القلب ماء المحبة لكؤوسك، أوقدت عليه نار الشوق فارتفع إليك البخار، فتقاطر منك فشرقت بشربه أولاً، وشرقت بحر ناره ثانياً.

كل الحوادث مبداها من النظر ومعظم النار من مستصغر الشرر
كم نظرة فتكت في قلب صاحبها فتك السهام بلا قوس ولا وتر
والمرء ما دام ذا عين يقلبها في أعين الغيد موقوف على الخطر
يسر مقلته ما ضر مهجته لا مرحباً بسرور عاد بالضرر

* * * * *

---

(١) سير اللجام الذي تمسك به الدابة، (القاموس: ٤ / ٢٤٩).

حكم النظر إلى النساء الأجنبيات

قال الله تعالى في كتابه العزيز:

﴿قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم ذلك أزكىٰ لهم إن الله خبير بما يصنعون. وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن ويحفظن فروجهن﴾

فغض البصر أصل لحفظ الفرج، وإنما يباح لمصلحة أرجح من مفسدة النظر إلى المحرم، مع العلم أن الغض التام متعذر ولم يطلب ربنا ـ جل وعلا ـ غضه مطلقاً بل المستطاع منه، على خلاف حفظ الفرج الواجب بكل حال.

وقد جعل الله العين مرآة القلب فإذا غض العبد بصره غض القلب شهوته وإرادته، ومخالفة ذلك مصيرها الزنا في أغلب الأحوال.

ففي الحديث: «إن الله كتب على ابن آدم حظه من الزنىٰ مدرك ذلك لا محالة، فالعين تزني وزناها النظر، واللسان يزني وزناه النطق، والرجل تزني وزناها الخُطَىٰ، واليد تزني وزناها البطش، والقلب يهوىٰ ويتمنىٰ والفرج يصدق ذلك ويكذبه».

ولا يكذب الفرج ذلك إلا أن كان القلب مؤمناً يخاف الله وعقابه

ويرجو الله وثوابه.

فهذا زنا العين أصل كل زنىً بعده وهو معصيتها.

* * * * *

فوائد غض البصر

أولاً: تخليص القلب من ألم الحسرة إلى ما يشتد طلبه، ولا صبر له عنه، ولا وصول له إليه، وذلك غاية ألمه وعذابه، وإن حصل على بعضها تضاعف ألمه في الذي فقده.

ثانياً: يورث القلب نوراً وإشراقاً يظهر في العين والوجه والجوارح وإطلاقه يورث ظلمة فيها.

ثالثاً: يورث صحة الفراسة فإنها من النور وثمراته، فإذا استنار القلب صحت الفراسة، لإنه يصير بمنزلة المرآة المجلوة تظهر فيها المعلومات كما هي.

رابعاً: إنه يفتح له طرق العلم وأبوابه ويسهل عليه أسبابه، وظهرت في القلب حقائق المعلومات، وانكشفت له بسرعة ونفذ من بعضها إلى بعض.

خامساً: يورث القلب قوة وثباتاً وشجاعة فيكون له سلطان البصيرة مع سلطان الحجة.

سادساً: يورث القلب سروراً وفرحة، وانشراحاً أعظم من اللذة والسرور الحاصل بالنظر، وذلك لقهره عدوه بمخالفته ومخالفة نفسه

وهواه، فإنه لما كف لذته وحبس شهوته لله، وإن كان في خلاف ذلك مسرة نفسه الأمارة بالسوء، أعاضه الله مسرة ولذة أكمل منها، كما قال بعضهم: واللهِ للذة العفة أعظم من لذة الذنوب، ولا ريب أن النفس إذا خالفت هواها أعقبها ذلك فرحاً وسروراً ولذة أكمل من لذة موافقة الهوىٰ بما لا نسبة بينهما.

وههنا يمتاز العقل عن الهوىٰ.

سابعاً: تخليص القلب من أسر الشهوة وقد قيل: طليق برأي العين وهو أسير.

ومن أسرته الشهوة والهوىٰ والقلب، تمكن منه عدوه وسامه سوء العذاب.

ثامناً: يسد عن الإنسان أبواب جهنم.

فإن النظر باب الشهوة الحاملة على مواقعة الفعل الذي حرم الرب ـ تعالى ـ. وشرعه إنما هو حجاب مانع من الوصول. ومتى هتك الحجاب اعتاد على المحظور، ولم تقف نفسه منه عند غاية، فإن النفس في هذا الباب لا تقنع بغاية تقف عندها، وذلك أن لذتها في الشيء الجديد ولا يقنعها القديم وإن كان أحسن منه منظراً، وأطيب مخبراً، فغض البصر يسد عنه هذا الباب الذي عجزت الملوك عن استيفاء أغراضهم فيه.

تاسعاً: يقوي العقل ويزيده ويثبته، فإن إطلاق البصر وإرساله لا يحصل إلا من خفة العقل وطيشه، وعدم ملاحظته للعواقب، فإن هذه خاصة العقل، والتبصر في العواقب التي لو تبصر مرسل النظر فيها لما

أرسلها.

وأعقل الناس من لم يرتكب سبباً   حتى يفكر ما تجني عواقبه

عاشراً: تخليص القلب من سكر الشهوة ورقدة الغفلة، بسبب إطلاق البصر الذي يوقع ذلك، قال الله: ﴿لعمرك أنهم لفي سكرتهم يعمهون﴾.

فالنظرة كأس من خمر، والعشق هو سكر ذاك الشراب، وسكر العشق أعظم من سكر الخمر، فإن سكران العشق قلما يفيق إلا في عسكر الأموات ولا سيما عشق من لم يجعل الله سبيلاً في قضاء الوطر منه شرعاً كالمردان والحسان، فإن إطلاق النظر إليهم السم القاتل، والداء الذي لا دواء فيه.

* * * * *

علاج الهوىٰ

أمور يمكن للمرء أن يتخلص بها من الهوىٰ:

عزيمة حر يغار لنفسه وعليها.

وجرعة وصبر يصبر نفسه على مرارتها تلك الساعة.

وقوة نفس تشجعه على شرب تلك الجرعة، والشجاعة كلها صبر ساعة.

وملاحظته حسن موقع العاقبة والشفاء بتلك الجرعة.

وملاحظته الألم الزائد علىٰ لذة طاعة هواه.

وإبقاؤه علىٰ منزلته عند الله وفي قلوب عباده، وإيثاره لذة العفة وعزتها وحلاوتها علىٰ لذة المعصية، وهو خير وأنفع له من لذة موافقة الهوٰى.

وفرحه بغلبة عدوه وقهره له ورده خاسئاً بغيظه وهمه، حيث لم ينل منه أمنيته وهو الشيطان.

والتفكر في أنه لم يخلق للهوىٰ، وأن لا يختار لنفسه أن يكون الحيوان البهيم أحسن حالاً منه.

وأن يسير بقلبه في عواقب الهوىٰ، فيتأمل كم أفاتت معصيته من فضيلة وكم أوقعت في رذيلة.

وليتصور العاقل انقضاء غرضه ممن يهواه ثم يتصور حاله بعد قضاء الوطر، وما فاته وما حصل له، ويتصور ذلك في حق غيره حق التصور، ثم ينزل نفسه تلك المنزلة، وليتفكر فيما تطالبه به نفسه من ذلك، ويسأل عنه عقله ودينه فيخبرانه بأنه ليس بشيء.

ويأنف لنفسه من ذل طاعة الهوىٰ.

ويوازن بين سلامة الدين والعرض والمال والجاه ونيل اللذة المطلوبة.

وأن الهوى ما خالط شيئاً إلا أفسده وقد جعل الله الهوىٰ مضاداً لما أنزله.

أفيكون متبع الهوىٰ إماماً أو يطاع؟!

بل هو عابد وثن، وهو هواه الذي بعده جهنم، لإنسلاخه عن الإيمان.

فهو من المهلكات، ومخالفته تورث العبد قوة في بدنه وقلبه ولسانه، ومن خالف هواه تجده أشد الناس مروءة خوفاً من تحكم الهوىٰ على عقله ودينه، لأن اتباع الهوىٰ والخطأ قرينان.

والشفاء من ذلك الهوىٰ مخالفته.

وليتذكر أن جهاد الهوىٰ لا يقل عن جهاد الكفار ومخالفته حمية واتباعه تخليط، ويغلق علىٰ العبد أبواب التوفيق ويفتح أبواب

الخذلان.

ومن كانت بدايته اتباع الهوىٰ كانت نهايته الذل والصغار والحرمان والبلاء المتبوع بحسب ما اتبع من هواه.

بل يصير له ذلك في نهايته عذاباً يعذب به في قلبه.

مآرب كانت في الشباب لأهلها عِذاباً فصَارت في المشيب عذاباً

* * * * *

الفهرس العام

* * * * *

التنضيد والمونتاج
دار الحسن للنشر والتوزيع
عمّان: هاتف/فاكس ٦٤٨٩٧٥ ـ ص.ب ١٨٢٧٤٢